إسلاميات

اللغة والقرآن

الدكتور عوض بن حمد القوزي

سلسلة تصدر عن النادى الأدبي الثقافى بجدة

٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
النادي الأدبي الثقافي بجدة
ص. ب: ٥٩١٩ ـ ت ٦٨٣٤٦٦٣

اللغة والقرآن

الدكتور عوض بن حمد القوزي

● الدكتور :
عوض حمد القوزي

● من مواليد بلدة القوز بالقنفذة .

● حاصل على الابتدائية من مدرسة الملك عبدالعزيز الابتدائية بالقوز ونال الكفاءة من متوسطة القنفذة الأولى .

● حاصل على الثانوية من مكة المكرمة ، ثم حصل على البكالوريوس في الآداب من جامعة الملك سعود بمرتبة الشرف عام ١٣٩٦/١٣٩٧هـ .

● عين معيدًا بالجامعة وحصل على الماجستير فيها عام ١٣٩٩/١٤٠٠هـ .

● ابتعث لدراسة برنامج الدكتوراه إلى بريطانيا عام ١٤٠٠هـ وحصل على الدكتوراه عام ١٤٠٥هـ ، من جامعة أكسفورد .

● يعمل الآن استاذًا مساعدًا بجامعة الملك سعود ومديرا لمركز البحوث بها .

الانتاج العلمي :

● له أعمالٌ منشورة وبحوث تحت النشر منها كتاب : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري بحث كتابه سيبويه من البصرة ، الوصول بين الفقهاء والنحاه ، نكتة

النكت في سرق الأعلم ، شنتامري كتاب ما يحتمل الشعر من الضرورة لأبي سعيد الصيرافي ، تحقيق وهو جزء من شرحه على كتابه سيبويه ظاهرة البخل عند النحاه ، بحث شارك به في المؤتمر العالمي الأول لنشر اللغة العربية في الباكستان عام ١٤٠٨هـ ، سيبويه والمصطلحات الأعجمية ، بحث مقدم لمؤتمر الذخيرة اللغوية بالجزائر ، الشاهد النحوي في تعليقه أبي علي الفارسي من أسرار الحروف العربية ، اللحن وأثره على السامع ، كتاب تعليق أبي على الفارس علي كتاب سيبويه ، تحقيق تحت الطبع في عدد من المجلدات ، له مشاركات في الصحف والمجلات والاذاعة .

***

■ بلغت اللغة العربية درجة النضج اللغوي قبل نزول القرآن الكريم ، وأدرك أهلها ما تتميز به لغتهم من حيث الشمول والقدرة على احتواء المعاني ، وتفاضل المتكلمين بها في الفصاحة ، وعن طريق اتصال العرب في الحج والأسواق عرفت العربية البلغاء والشعراء وتمايز العرب في لهجاتها ، كما عرفت أيضا علو شأن لغة قريش ، وسيطرتها في الساحة اللغوية والأدبية ، وإعجاب العرب من غير قريش بما وصلت إليه قريش من فصاحة اللسان وهيمنة اللغة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة فكان في عمومه بلغة قريش ، فقد روي : عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه أوصى أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم[١] ، « بلسان عربي مبين »[٢] ، أفحم البلغاء وتحداهم ببيانه فما استطاعوا أن يأتوا بعشر سور مثله[٣] ، بل عجزوا أن

يأتوا بسورة من مثله[٤] . ونزول القرآن بهـذا الإعجاز أضاف إلى العربية رصيداً تقوي به بلاغتها ، وتحتكم إليه فصحاؤها . تلقاه الصحابة . رضوان الله عليهم ، مشافهة من رسول الله ﷺ ،وكان بعضهم يكتب آياته ،ولكن أكثرهم كان يعتمد على الحفظ دون الكتابة . ثم لما لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، ولحق به خلق كثير من حفظة الكتاب العزيز ، خاصة بعد معركة اليمامة[٥] ، خاف المسلمون أن يقضى على القرآن بالقضاء على حفظته في حروب الفتح . فهرعوا إلى أبي بكر ، يعرضون الأمر عليه ، ويلتمسون الحل لديه ، وكان فى مقدمتهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشرح لخليفة رسول الله ، أن القتل قد استحر بالقراء يوم اليمامة ، ويخشى أن يستحر القتل فيهم في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، واقترح أن يجمع القرآن بحال . وتردد أبوبكر ، رضي الله عنه ، وهاب الإقدام على عمل لم يفعله رسول الله ﷺ ، وأخذ عمر يراجعه ويقنعه بجدوى جمع القرآن حتى شرح الله صدره لما كان قد شرح له صدر عمر ، فأوكل أبوبكر تلك المهمة إلى زيد بن ثابت وقال له : « إنك رجل شاب عاقل لا نتَّهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من الذي أمرني به من جمع القرآن[٦] . ولنا أن نسأل : لماذا هرع المسلمون إلى أبي بكر يطلبون منه جمع القرآن ؟ لم لم يتطوع أحدهم أو

بعضهم بذلك ؟ ، الجواب أن القرآن وإن كان الله قد حفظه[٧] إلا أن مسؤولية رعايته في الأرض أنيطت بمن يتولى أمر المسلمين ، وأن عليه مسؤوليته ، وأطر المسلمين إلى أحكامه ، ونظام الإسلام جعل للحاكم الطاعة وعليه الرعاية لما يصلح أمر المسلمين ، ومن إصلاح حالهم المحافظة على كتاب الله نورًا يهديهم . لذلك ما كان أحد ليجرؤ على عمل يتصل بالقرآن غير أبي بكر ، ولو كان ذلك في مقدور أي أحد لكان عمر جديرًا بالإقدام عليه وتنفيذه ، ولأنه عمل يتصل بالأمة كلها ، كان خليفة المسلمين هو المسؤول عنه وجمع القرآن من الرقاع ، واللخاف ، والعُسُب ، وصدور الرجال ، وبقيت صحفه عند أبي بكر حياته ، وانتقلت إلى عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر ، رضي الله عنهما ، وخلال هذه المدة أخذ المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية شرقًا وشمالاً وغربًا ، وكان الفاتحون يقرؤون كتاب الله كل بالحروف التي بلغته ، وطبيعي أن تظهر بينهم اختلافات في القراءة ، لكن تلك الاختلافات أخذت تشتد عندما اجتمع في غزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون القرآن ، فلاحظوا اختلافًا ، وتنازعوا حتى كاد بعضهم يكفّر بعضًا[٨] ، ثم إن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان ابن عفان ، وكان بالعراق ، فقال لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، وأبلغه

خلاف الناس في القراءة ، ففزع عثمان لذلك فزعًا شديدًا ، ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر ، رضي الله عنه ، زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخ المصحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مصحفًا ، وأمر بكل ما سوى ذلك من القرآن أن يحرق[٩] . إن جمع الناس على مصحف واحد ليس بالأمر اليسير ، ولقد كان من جلائل الأعمال ، ولولا سلطة الخلافة ، وإرادة الله المتمثلة في حفظه لكتابه ، لما استطاع عثمان جمع الأمصار على مصحف واحد ، لاسيما وقد غبروا على قراءة ما يخالفه مدة ليست بالقليلة ، فضلا عن أنهم تلقوه من ثقات إنْ في الشام أو في العراق . وهذه الخطوة في خدمة القرآن ما كانت لتقوم بها قوة غير قوة الولاية لأمور المسلمين ، وهي لا تقل في خطرها عن سابقتها التي تمثلت في جمعه في الصحائف بعد أن كان مبعثرًا في صدور الرجال .

وما أن يقضى على مشكلة حتى تقوم أخرى ، ويكون على ولي أمر المسلمين مواجهتها بما يلائمها من الحلول ، فما أن عولجت قضية اختلاف القراءة حتى ظهرت قضية هي من الخطر بمكان ، وأعني بها قضية اللحن في قراءة القرآن . هذه القضية نشأت وكبرت بتزايد الداخلين في دين الإسلام

من الأمم الأخرى غير العربية ، فكانوا يقرؤون القرآن لا يقيمون حروفه لصعوبة ذلك عليهم ، وكان عليهم أن يقرؤوه كما تعلموه وكما أنزل ، فكان طبيعيًا أن يدفعهم الحرص على قراءة القرآن إلى التماس كل ما من شأنه تذليل تلك الصعوبة . يضاف إلى ذلك أن الحياة الجديدة أخذت تجذبهم إلى تعلم العربية باعتبار أنها لغة الدين الـذي ارتضوه ، ولما لم يكن أمامهم من وسيلة لحذق هذا اللسان غير المشافهة ، رأيت اللحن يسري في كل ناحية ، وأدركوا فضل العرب على من سواهم ، وشرعوا في طلب العربية بكل سبيل يؤدى إلى فهم الكتاب العزيز ، وإقامة حروفه ، وفهم معانيه وأسراره ، وأدركوا أن الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا عن طريق حذق العربية ، فقد حدث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة الأكبر ، قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وحسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ما باله فضل فيها ؟ ، قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبرّ[١٠] .

ولم يقف أمر اللحن عند الأعاجم ومن في حكمهم ، بل

تعدى إلى الناشئة العربية ، وأصبح يشكل ظاهرة تدفع إلى التندر تارة ، وإلى الضجر على مستقبل الفصاحة العربية .

وأخذ اللحن ينتشر حتى بين سراة القوم فرأوه هجنة على الشريف ، ونظروا إليه فكان في أنظارهم أقبح من آثار الجدري في الوجه[١١] وهو في الكتاب أقبح منه في الخطاب ولذلك عندما تلقى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كتابا من الحصين بن أبي الحر[١٢] ، فلحن في حرف منه ، كتب عمر إليه أن قنّع كاتبك سوطا[١٣] ، وكان عبد الملك بن مروان يقول : اللحن أقبح من التفتيق في الثوب النفيس[١٤] ، وتحرج بعضهم من مساءلة شيخه ، وما كان له من سبب غير أن لحنه يمنعه[١٥] . ويصل الحال ببعضهم إلى أن يتقزز من سماع اللحن ، فعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن[١٦] ، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما كان يضربهم على تعليم القرآن[١٧] وكان سراة القوم لا يتركون تفقد أبنائهم ومتابعة تلقينهم الفصاحة والأدب فهذا معاوية ، رضي الله عنه ، يكتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلمّا قدم عليه كلمه ، فوجده يلحن ، فردّه إلى زياد ، وكتب إليه كتابا يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله يضيّع ؟[١٨] ، ويقف عبد الملك بن مروان على لحن ابنه الوليد ابن عبد الملك ، فيلوم نفسه في ذلك قائلا : أضرّ بنا فى الوليد حبُّنا له ، فلم نلزمه البادية[١٩] ، بل إنهم ليعدون سريان اللحن إلى ألسنة الأبناء نتيجة لتفريط الآباء وإهمالهم ،

فهذا أبوجعفر المنصور وهو من هو في الشرف والمجد ، عندما سمعه الأعرابي يلحن قال لآخر كان يجلس إلى جانبه : ما كان أهون هذا القرشي على أهله[٢٠] ، ولم يعدّوا اللحن في الرجل السري نقصًا فحسب ، بل تجاوزوا بذلك إلى أنهم أصبحوا لا يرون للاحن حرمة[٢١] وإن كان إمامًا أُخَرٍ[٢٢] ، وأن الرجل . وإن بَهَرَ الآخرين بمظهره فإنه إذا لحن يخف في أعينهم[٢٣] ، ولا أدل على ذلك من تقدير الأعرابي لأبي جعفر المنصور وعندما سمعه يكثر من اللحن قال : أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر[٢٤] ، ويرى بعضهم أن اللحن لو كان من الذنوب لعدّ من الكبائر[٢٥] ، وقد يعدون استماع اللحن مؤديًا إلى تردي الحال الصحية لمريض لا يطيق سماعه[٢٦] ، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أن يستغفر الله إذا وقع في اللحن[٢٧] .

هذا إذا كان اللحن في الكلام العادي فما بالك به وقد وقع في القرآن الكريم ، إنه بلا شك أمر يستوجب استنهاض الهمم ويدعو إلى الاستنكار ، وهناك بعض المواقف التي استنكر فيها الأعراب لحنًا سمع في بعض حروف القرآن الكريم ، وروى ابن قتيبة قال : « سمع أعرابي إماما يقرأ « وَلَا تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا »[٢٨] بفتح تاء تَنْكِحُوا ، فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، والقراءة « ولا تُنْكِحُوا » فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إمامًا فإنه يحل ما حرم

الله »[٢٦] ثم قصة ذلك الأعرابي الذي قدم في زمان عمر بن الخطاب يطلب أن يقرئه بعضهم شيئًا مما أنزل على محمد ، فأقرأه رجل « براءة » فقال « أن الله بريء من المشركين ورسولِه » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه وبيّن له صواب القراءة ، فما كان من الأعرابي إلا أن قال : وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه[٣٠] .

وتدور الخواطر في أذهان المفكرين من الأمة ، كُلٌّ يريد أن يصنع شيئًا يقيم به اللسان الذي فارق سبيل العرب في أصواتها وإعرابها ، على غرار ما نرى من أبي الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي فقال : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام[٣١] .

وبالمقابل ترتفع الدعوة إلى تعلم الإعراب ، وهو سبيل العرب في الإبانةِ عن أغراضها ، يقول مالك بن أنس : « الإعراب حلي اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها »[٣٢] ، ويأتي الحث على التماس الإعراب في قراءة القرآن على وجه الخصوص ، فيقول عمر ، رضي الله عنه ، مثلا : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »[٣٣] ، ويروى عن ابن مسعود أنه قال : « جردوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه ، فإنه عربي ، والله يحب أن يعرب[٣٤] وعن عبد الله

ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « أعربوا القرآن »[٣٥] .

وتتواتر الآثار عن صحابة رسول الله ﷺ ، في الحث على إعراب القرآن ، وما يترتب على إعرابه من الثواب[٣٦] ، ويرقى ذلك إلى عهد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فعن أبيّ بن كعب ، رضي الله عنه ، أنه كان يقرىء رجلاً فارسيًا ، فكان إذا قرأ عليه « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم »[٣٧] قال « طعام اليتيم » فمر به النبي ﷺ ، فقال : « طعام الظالم » ففصح به لسانه ، فقال النبي ﷺ ، لأبي بن كعب : قوّم لسانه وعلّمه ، فإنك مأجور ، وإن الذي أنزله لم يلحن فيه ، ولا الذي نزل به ، ولا الذي أنزل عليه ، وإنه قرآن عربي »[٣٨] .

إن الفصاحة مطلب عظيم ، والعرب تتوخى مواطنها بين البدو الخلص ذوي السليقة ، فتلحق أبناءها وهم في طور الاكتساب وطراوة اللسان بتلك القبائل التي تميزت بالإعراب والبيان ، وكان الموسرون من قريش يبعثون أولادهم إلى البادية لهذا الغرض ، ولا أدل على ذلك من إيفاد محمد بن عبد الله ﷺ ، وهو صغير إلى بني سعد واسترضاعه حليمة السعدية ، وهناك بدأ نشأته الطيبة ، واكتسب الفصاحة ، ونجا مما قد يصيب ناشئة مكة من فساد السليقة نظرا لما يلابسهم من الرقيق والخدم[٣٩] . وكان عليه السلام يفخر بذلك الاسترضاع ، فيقول لأصحابه : « أنا أَعْرَبُكُم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني

سعد بن بكر »[٤٠] ، وقد مرّ بنا تأسف عبد الملك بن مروان على فساد سليقة ابنه الوليد لعدم إلزامه البادية .

ولما كانت العربية هي المروءة الظاهرة التي ترتب الوضيع مراتب الأشراف[٤١] ، وأن الفصاحة إحدى المروءتين[٤٢] ، وأن تعلُّم النحو جمال للوضيع[٤٣] . كان الإقبال على التحلي بحليتها كبيرًا ، والتنافس على بابها شديدًا ، وكان على مفكري الأمة وقادتها أن يستجيبوا لرغبات الرعية ، ويحافظوا على ما تقيم به ألسنتها عند قرءاة كتاب ربها .

لقد انطلق علم النحو من منطلق قرآني ، والذي وضع أول لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنه يؤسس لعلم سيصبح له خطره وشأنه في الثقافة العربية الإسلامية ، ولم يدر بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنه قد أعرب المصحف ـ على ما تعارفت عليه الأجيال من بعده ـ . نظر مؤسسو النحو إلى الإعراب بمعناه الواسع المتضمن للإبانة ، أو قل طريق العرب في التعبير ، فحرصوا على تمكين إخوانهم المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم ، لم ينظروا إلى إكساب غير العربي فصاحة العربي وبلاغته ، ولكنهم أخذوا على عاتقهم وضع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صحيحًا كما ينطقه العرب ، ليحموا الناس من الوقوع في شيء من اللحن في كتاب الله ، أو قل ليحموا كتاب الله من لحن اللاحنين .

وسواء اتفقت الروايات أو اختلفت فيمن وضع تلك اللبنة

الطيبة وأسس للدراسة النحوية ، فإنه لا خلاف في أن نقط الإعراب كان أول خطوة في هذا الميدان[٤٤] .

وهذا العمل وإن بدأ بسيطا في نظر المتأخرين ، فلقد كان جليلا لم ينهض به إلا رجل كيّس ، وهبه الله الفطنة ، ويسّر له من ولاة الأمر من يشد أزره ويعينه على مهمة إعراب القرآن الصعبة ولئن كانت فكرة الإعراب هذه هاجس المسلمين الغيورين على كتاب الله ، لاسيما وقد تفشى اللحن ، وسمعوه في بعض حروف القرآن ، لكن أحدًا لن يجرؤ على عمل شيء في كلام الله تحرجًا من أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الموقف لا يستطيعه فرد ، ولكن مسؤوليته تتعلق بوليّ أمر المسلمين . ثم لما شرح الله لها الصدور ، قيض الله لها أن تكون ، يستوي في ذلك إن كانت هذه الخطوة بتأييد من الخليفة عمر[٤٥] ، أو كانت بتوجيه من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤٦] ، أوكانت بأمر من زياد[٤٧] أو من عبيد الله بن زياد[٤٨] المهم أن مرحلة نقط الإعراب هذه ما كانت لتقوم لولا أنه كان للحاكم يد في تأييدها .

غبر الناس على ذلك بضع سنين ، وقد استبشروا بالتغلب على مشكلة اللحن في كتاب الله . لكن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ ظهرت مشكلة أخرى ، تستدعي بذل جهد جديد ومواجهة جديدة ، تلك هي قصية التصحيف ، وتبدو هذه القضية أكثر خطراً من سابقتها لأنه قد يقع في التصحيف العربي

الصليبة ، وقد يرتكبه في القرآن من تسعفه سليقته بالمرادف اللفظي الذي يوافق التنزيل في المعنى وفي الرسم ففي مثل قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ الله فَتَبَيَّنُوا .. »[٤٩] فيقرأها « فَتَثَبَّتُوا » ، وفي قوله تعالى « مَا نُنَـزِّلُ المَلاَئِكَـةَ إِلَّا بِالْحَقِّ .. »[٥٠] لتقـرأ (تُنَزَّل) ، أو (تَنَزَّل) ولئن كانت هذه الحروف قد قرأت بها القَرَأَةُ ، إلا أن بعض التصحيف يذهب بعيدًا عن الروايات المتواترة في وجوه القراءات ، وهذا لا يقره مسلم ، حتى ولو كان موافقًا للرسم والمعنى ، لأن القراءة سنة . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما عُلِّمتم »[٥١] . قال أبو عمرو بن العلاء « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرىء به لقرأت حرف كذا : كذا ، وحرف كذا : كذا »[٥٢] .

إن مما يدعو إلى التصحيف في العربية تشابه بعض الحروف الهجائية ، شكلاً ، وهذا ما يجعل قراءة بعضها مشكلاً ، خاصة وأن الوجه الملفوظ قد يصل إلى المعنى نفسه وإن اختلف القصد ، ولعل في ما يلي من الأمثلة ما يكشف عن خطر التصحيف ، وكان في مثله دافع للمهتمين بالعربية إلى التماس مخرج يجنبهم مزالق التصحيف .

يروى أن امرأة جاءت إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : إن ابني مع تميم بن زيد القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إليّ ، فكتب إلى تميم :

تَمِيْـمَ بْنَ زَيْـدٍ لاَ تَكُـوْنَـنَّ حَـاجَتِي
بِظَهْـرِ فَـلاَ يَخْفَى عَـلَيَّ جَـوَابُـهَـا
أَتَتْنِـي فَعَـاذَتْ يَـا تَمِيْـمُ بِـغَـالِـبٍ
وَبِـالْحُفْـرَةِ السَّـافِي عَلَيْـهِ تُـرَابُـهَـا
فَهَبْ لِي (خُنَيْسًـا) وَاتَّخِذْ فِيْـه مِنَّةً
أَهَبْـهُ لأُم لاَ يَسُـوْغُ شَرَابُـهَـا

فلما ورد الشعر إلى تميم أشكل عليه الاسم لفقدان النقط على الحروف ، فقال : أقفلوا كل من اسمه خنيس ، أو حبيش ، أوحنيش ، أوحشيش ، أوخشيش ، فعُدّوا فكانوا ثمانين رجلاً »(٥٣) .

ويروى أن أبا نواس تهكم برجل فقال :

رَأى الصَّيْفَ مَكْتُـوْبًـا فظَنَ بِـأَنَّـهُ
لِتَصْحِيْفِهِ (ضَيْفٌ) فَقَامَ يُوَاثِبُهُ(٥٤)

حقا لقد رصدت مثل هذه الأمثلة بعد معرفة الإعجام ونقط الإعراب ، وما سبق مرحلة الإعجام كان بلا شك أكثر وأوسع ، ولعله لما وقع في قراءة القرآن أو أحاديث رسول الله ﷺ ، هرعوا لصنع شيء تقيم به العامة لسانها . قال الحسن : « أهلكتكم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعنى بوجوهها حتى يفتري على الله »(٥٥) ، ولعلنا نتصـورهم سمعوا قارئا يقرأ :

« وَلاَ يَغُـوْثَ وَيَعُوْقَ وَبشْرًا »(٥٦) ، أو يقـرأ « جَعَـلَ السَّفِيْنَةَ في رجْلِ أَخِيْهِ »(٥٧) ، أو يقرأ « وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ

ٱلْخَـوَارِجَ مُكَلِّبِيْنَ »[٥٨] أو يقرأ « ذَلِـكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيْهِ »[٥٩] ، فما تراهم يفعلون إزاء مثل هذا ، ما تراهم صانعين إزاء فقيه يقرأ قوله « ولا يكون النذر إلا في قرية » وهو يعني « قُرْبَةٍ » ؟ أو آخر يحدث الشافعي فيقـول : « ويستحب في المؤذن أن يكون صَبِيًّا » ، فقيل له : ما العلة في ذلك ؟ قال : ليكون قادرًا على الصعود في درج المئذنة ، وإنما هو « صَيِّتًا » ، من الصوت[٦٠] .

ليس ثمة من علاج غير صنع علامات يفرق بها بين تلك الحروف المتشابهة . وقد روى لـذلك أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرأون في مصاحف عثمان رحمة الله عليه نَيِّفًا وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات[٦١] .

وليس يهمنا في هذا المقام ذكر من قام بهذه المهمة الصعبة من العلماء ، بقدر ما يهمنا أن هذه الخطوة لم تكن لتقوم لولا اهتمام ولي الأمر بشأن القرآن الكريم ، والحرص على حمايته من تحريف التصحيف . على أن بعضهم يرتفع بتاريخ النقط هذا إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم[٦٢] لكن يبدو أن هذا كـان خاصـا ببعضهم ولم يكن عليه الإجماع .

وكما كان أمر جمع القرآن في مكان صعبًا ، وكَتْبُه في مصحف أصعب ، كما لم يكن نقطه بالإعراب أقل منهما

خطورة ، كذلك فإن نقط الإعجـام ليس أقل خطـرًا من الجميع ، وما أثر عن المسلمين من خلاف في واحد من الأمور السابقة بقدر ما أثر عنهم من الخلاف في الإعجام ، وينطلق اختلافهم هذا من الخوف من زيادة حرف في القرآن أو نقص آخر منه ، ولذلك كانوا يحبون أن يجرّد القرآن ، وألا يخلط بشيء ، فالحسن البصري وابن سيرين كانا يكرهان أن ينقط المصحف بالنحو[٦٣] ، وروي أن مالك بن أنس كان قد سئل : « هل ينقط المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى »[٦٤] ، ويصل الأمر إلى حد الحرج واستفتاء بعضهم فيه ، فيروى أن مالكًا سئل عن نقط القرآن فقال : « أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها ، أمّـا المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان ، وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا »[٦٥] وأخذ الذين يرغبون الناس فيه بالحث عليه وقـالـوا : العجم نـور الكتـاب[٦٦] وهم يسمــون النقط (العربية) ، ويرونه عملاً مستقلا عن القرآن ، وهذا الليث يقول : لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية[٦٧] .

وليميزوا بين نقط الإعراب ونقط الإعجام اختاروا لونين مختلفين من الحبر ليضعوا كل نقط بلون يخالف لون الآخر ، وقضوا على ذلك زمنًا حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) الذي كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيـح القياس ، مـع زهد في الـدنيـا وانقطـاع إلى

العلم[٦٨] ، نظر الخليل إلى الحروف ، فأدرك أنها تختلف بين مشدّد ومخفف ، وأن النفطلم يعالم هذه الجزئية فهدي إلى أن يجعل على الحرف المشدد سنينات ثلاث ، هكذا هكـذا (ـس) ، مأخوذة من صدر كلمة (شديد) ، وعبر عن الحرف الخفيف بوضع الخاء صغيرا عليه (خ) وهو مأخوذ من أول كلمة (خفيف)[٦٩] ، ويبدو أن هذا دفعه إلى التفكير في صنع علامات للإعراب يفرق بها بين نقط الإعجام ونقط الإعراب ، ويهون على النساخ متاعب الحصول على الألوان المختلفة للحبر ، ويتقدم بالعلم خطوات أوسع وأرحب فقد روى أبوالحسن بن كيسان عن أبي العباس المبرد أن الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء[٧٠] ، وقال أبوالفتح : « كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا على طريق مستقيمة »[٧١] .

ويظهر أن عمل الخليل هذا كان ذاتيًا دون أن يكون وراءه أمر من سلطان أو مساندة من والٍ ، وقد تقبلته النفوس ، لأنه انطلق من رجل عُرف بذكائه وفطنته وسعة علمه بالعربية وأسرارها ، يضاف إلى ذلك ما اتصف به من زهد وورع أكسبه ثقة الناس جميعًا ، فتقبلوا عمله دون تردد ، اقتناعًا برجاحة عقله ، بالإضافة إلى ما لمسوا في عمله هذا من تذليل

للصعوبات التي يعجز النقط عن معالجتها . ثم إنه لم يضف جديدًا إلى ما استقر ، ولكنه أجرى تعديلاً لما هو قائم ، منتقلا به من مرحلة لا تخلو من اللبس والاضطراب ، ليبلغ مرحلة من النضج والتطور ، معالجًا لقضايا لم يكن نقط أبي الأسود ليصنع فيها شيئًا .

الخطوات المارّ ذكرها كانت بمثابة اللبنات الأولى في علم العربية لكن لم يسمها أحد بما عرف بعد بالنحو ، ورغم عظم أمرها في الدرس النحوي إلا أن النحو تجاوز تلك الحدود ، إذ أخذ ينمو بسرعة أذهلت الناظرين في مجال تطور العلوم ، ودعت بعض الغربيين إلى الشك في نشأته ودفعت الظنون بعضهم إلى أن ينسبوا الخطوات الأولى فيه إن لم يكن كله إلى غير العرب[٧٢] ، في حين لم يعدم من ردّ ذلك الزعم ، مثبتا أن النحو العربي « أثر رائع من آثار العقل العربي ... ويحق للعرب أن يفخروا به »[٧٣] .

ولم تقف الجهود عند هذا الحد في مجال خدمة القرآن الكريم ، فهم يدرسون ألفاظه ، ويبينون غريبه ، ويفسرون معانيه ، ومنهم من استعان بالشعر في توضيح معاني بعض ألفاظه ، لأن الشعر ديوان العرب، كما أن الفقهاء اهتموا باستخراج الأحكام الشرعية منه ، وبتأييد ما جاء فيه بشيء من سنة الرسول ﷺ .

وباختصار لقد اشتغلوا بالقرآن تعلمًا ودرسًا . ونتج عن اهتمامهم هذا تلك العلوم الجليلة ، من تفسير ، وقراءآت ،

ونحو ، ومن النحو انبثقت علوم مختلفة أهمها علم التجويد ، وعلم الأصوات ، ودراسة اللهجات ، والبلاغة وغيرها .

وعلم النحو لم ينفصل عن القرآن إلا بعد مرور زمن ليس بالقصير ، تخللته عناية العلماء بجمع اللغة ، ومشافهة الأعراب في أماكن الفصاحة ، ورصد الظواهر اللغوية لاستخراج القواعد المبنية على الاطراد والانسجام ، ثم معرفة كثير من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، وهكذا بدأ علم العربية يتصل بروافد أخرى غير القرآن الكريم ، إذ اتجه العلماء إلى الشعر والموروث اللغوي عند القبائل الموثوق بفصاحتها ، المشهود بخلوها من شوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى . وفي هذا الخضم الكبير من اهتمام العرب والمستعربين بجمع اللغة من مصادرها الصافية وسلائق القبائل العربية أخذ علم النحو يتشكل ، وأخذت مصطلحاته تظهر ، وقواعده ترسم ، ليصبح علمًا له كيانه وقوانينه ورجاله ، وبدأت الكتب تؤلف في علم شب عن طوق نقط الإعراب والإعجام أو حركات أواخر الكلم ، ليشكل ذاتًا مستقلة شمخت فوق تلك البذرة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ، وأصبحت دوحة عظيمة يتفاخر الناس بمعرفتها ، ويتسابقون إلى كنفها ، إدراكًا منهم بفضيلة من تحلى بحليتها ، ولذلك قال بعضهم :

النَّحْــوُ يَبْسُطُ مِــنْ لِسَــانِ الأَلْكَنِ

والمرء تُكْــرِمُــهُ إذا لَــمْ يَلْحَــنِ

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا
فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيْمُ الأَلْسُنِ[٧٤]

بل إنهم أخذوا يتفاخرون بالفصاحة وسلامة ألسنتهم من اللحن ، يقول بعضهم مفاخرا :

إمَّا تَرَيْنِي وَأَثْوَابِي مَقَارِبَةٌ
لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي المَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي
عُلْوِيَّةٌ ، وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ[٧٥]

أخذ الناس - عربهم وعجمهم - في تعلم النحو ، وحرصوا على تقويم الألسنة بتعلم قوانينه إدراكًا منهم بأن تعلمه جمال للوضيع ، وتركه هجنة على الشريف[٧٦] ، ورحم الله الكسائي إذ قال في فضل النحو ، والفرق بين صاحب النحو ومن لا نحو عنده :

إنَّمَا النحوُ قِياسٌ يُتَّبَعْ
وَبِهِ فِي كُلِّ أَمرٍ يُنْتَفَعْ
وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى
مَرَّ فِي المَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ
مِنْ جَلِيْسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى
خَافَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَمَعْ

يَقْـرَأُ ٱلْقُـرْآنَ لَا يَـعْلَـمُ مَـا
صَـرَفَ ٱلإِعْـرَابُ فِيْـهِ وَصَنَـعْ
فَتَـرَاهُ يَخْفِضُ الـرَّفْـعَ وَإِنْ
كَـانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَـعْ
وَإِذَا يُبْصِـرُهُ يَقْـرَؤُهُ
وَإِذَا مَـا شَـكَّ فِي حَـرْفٍ رَجَـعْ
نَـاظِـرًا فِيْـهِ وَفِي إِعْـرَابِـهِ
فَـإِذَا مَـا عَـرَفَ ٱلْحَقَّ صَـدَعْ(٧٧)

وهاك قول الآخر في وصف النحو :

اقْتَبِس النَّحْـوَ فَنِـعْـمَ الْمُقْتَبَسْ
وَالنَّحْـوُ زَيْـنٌ وَجَمَـالٌ فَـالْتَمِسْ
صَـاحِبُـهُ مُكَـرَّمٌ حَيْـثُ جَلَسْ
مَنْ فَـاتَـهُ فَقَـدْ تَعَمَّـى وَانْتَكَسْ
كَـأَنَّ مَـا فِيْـهِ مِنَ ٱلْعَـيِّ خَـرَسْ
شَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْحِمَـارِ وَٱلْفَرَسْ(٧٨)

وأخذ طلاب العربية يتسابقون إلى علمائها ، ويشدون الرحال إليهم ، ما كان لأحد طلبة إلا تعلم هذا العلم الذي أصبح طلبه من المروءة ، قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحبّ إليّ من تعلم النحو »(٧٩) ، وارتفع شأنُ أهل هذا العلم لعلو شأنه ، وأصبحت مجالس الولاة لا تنتظم إلّا بهم ، وإذا أنشد الشاعر قصيدة كان لا يخشى إلا من النحوي ، وموقف عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي مع

الفرزدق أشهر من أن يذكر . بل إن بعض النحاة فضل النحو على الفقه ، وما ذاك إلا لما في النحو من توسيع للنظر والفكر ، وما يتمتع به النحوي من القدرة على القياس والاستنتاج[٨٠] ، وبهذه النظرة استطاعوا أن يتبوأوا مكانة مرموقة في بلاط الولاة ودواوين الوزراء ، فقد أثر أن أبا يوسف القاضي أستاذ محمد بن الحسن الشيباني ، وأحمد ابن حنبل وغيرهما ، أثر أنه دخل يومًا على الرشيد والكسائي النحوي يمازحه ، فقال أبو يوسف : هذا الكوفي قد استفرعك ، وغلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي ، فأقبل الكسائي على أبي يوسف وقال : يا أبا يوسف ، هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أو فقه ؟! قال : بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تلقي على أبي يوسف فقهًا ؟! قال : نعم .... »[٨١] ، بل إن الولاة أخذوا في التنافس على فضلاء النحاة واستقطابهم إلى كنفهم رغبة منهم في أن يُحَلُّوا مجالسهم بالأدب وأن يقوموا على تأديب أبنائهم وتعليمهم ، فذللوا لهم الصعاب ، وهونوا عليهم مؤونة طلب الرزق ، وخصوهم بالاهتمام والرعاية ، ليتفرغوا للكتابة والتأليف ، وأخذت كتب النحو تنتشر شرقًا وغربًا ، وبانتشارها كثر العلماء حتى أصبحت لهم مذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتخصصة ، وكان لكتاب سيبويه في النحو نصيب الأسد من اهتمام الناس في كل زمان ومكان ، حتى إنهم أطلقوا عليه اسم « قرآن النحو » ، إذ حظي هذا

الكتاب بإقبال الطلاب عليه درسًا وحفظا وشرحًا وتعليقا واستدراكًا ، ولا يزال هذا الكتاب إلى يوم الناس هذا هو الإمام في كتب النحو ، كما أن صاحبه إمام النحاة .

بقيت كلمة أخيرة أود أن أختم بها المقام وهي أن اهتمام النحاة بتجويد قواعدهم وأقيستهم ، وتشددهم في بعض الأحكام ، وتجويزهم بعض الروايات الشعرية دون بعض ، وتوجيههم لبعض المأثور الشعري ولو بَدَا متكلفًا ، هذا الموقف جعل بعض الناس يحجم عن النحو والنحاة ، ويرغب عن النحو ، بل أدى الموقف إلى التهكّم بالنحاة وبصناعتهم ، قال بعضهم :

مَـاذَا لَقِيْنَـا مِنَ المُسْتعـربيـنَ ومِنْ
قِيَـاسِ نَحْوهِمُ هَـذا الَّذي ابْتَـدعُوا
إنْ قُلْـتُ قَـافِيـةً بِكْـرًا يَكـونُ بِهَـا
بَيْتٌ خِلَافُ الَّذي قَـاسُوهُ أو ذَرَعُـوا
قَـالُوا : لَحَنْتَ ، وَهـذَا لَيْسَ مُنتصبًا
وَذَاكَ خَفْضٌ وهـذَا لَيْسَ يَـرْتَفِـعُ
وَحَـرَّضُـوا بَيْنَ عَبـدِالله منْ حَمَـقٍ
وَبَيْنَ زَيْـدٍ فَطَالَ الضَّـرْبُ وَالـوَجَـعُ
كَمْ بَيْنَ قَـومٍ قَـدِ احْتَـالُـوا لِمَنْطِقِهِمْ
وَبَيْنَ قَـوْمٍ عَلىَ إعْـرَابِهِمْ طُبِعُوا(٨٢)

لقد كان خروج النحو إلى مرحلة متطورة من التجريد وراء التبرم بالنحو وأهله ، فليس طلاب العربية على مستوى واحد

من تقبل أحكام النحويين التي أخذت تتعقد بتتابع السنين ، لاسيما وقد لابس النحو المنطق والفلسفة وغاص في فقه اللغة واكتنه أسرارها ، فمن تجشم بالصبر وثابر على ملازمة أصحاب الصناعة فربما يحصل له مراده من هذا الفن ، لكن من ضاق صدره ، وكلّ ذهنه عن تقبل تلك الأسرار والنظم اللغوية فإنه لا يلبث أن يعزي نفسه ويردد قول الخليل بن أحمد :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئًا فَدَعْهُ
وَجَاوِزْهُ إِلىٰ مَا تَسْتَطِيْعُ

حقًا لقد حصل مثل هذا الموقف مع أحد تلاميذ المازني في النحو ، وكان قد قرأ من النحو أبوابًا ، حتى إذا جاء عند قول الخليل وأصحابه : إن ما بعد الواو والفاء يكون منصوبًا بإضمار (أن) ساء فهم الرجل لهذه القاعدة ولم يستطع تجاوزها ولاتمثلها ، فكتب إلى أستاذه المازني يشكو صعوبة هذا الباب ، وأن إضمار (أنْ) في هذا الباب قد أعتاص عليه والتاث أمره :

تَفكَّرتُ في النَّحو حتَّى مَلِلْتُ
وَأتْعَبْتُ نَفْسي به والبَدَنْ
وأتعبت بكرًا[٨٣] وأصَحَابَهُ
بطُولِ المَسَائِلِ في كُلِّ فَنْ
فَمِنْ عِلْمِهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ
وَمِنْ عِلْمِهِ غَامِضٌ قَدْ بَطَنْ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا .
وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطَنْ

خَـلاَ أَنَّ بِـابًـا عَلَيْـهِ الْـعَفَـا
ءُ ، لِلْفَـاءِ يَـا لَيْتَـهُ لَـمْ يَكُـنْ
وَلِلْـوَاوِ بَـابٌ إِلَىٰ جَنْبِـهِ
مِـنَ الْمَقْـتِ أَحْسَبُـهُ قَـدْ لُـعِـنْ
إِذَا قُلْـتُ هَـاتُـوا لِمَـاذَا يُقَـ
ـالُ « لَسْـتُ بِـآتِيْـكَ أَوْ تَـأْتِيَـنْ »
أَجِيْبُـوا ، لِمَـا قِيْـلَ هَـذَا كَـذَا
عَـلَىَ النَّصْبِ ، قَالُـوا لإِضْمَارِ (أَنْ)
وَمَـا اَنْ رَأَيْـتُ لَـهَـا مَـوْضِـعًـا
فَـأَعْـرِفَ مَـا قِيْـلَ إِلَّا بِظَـنْ
فَقَـدْ خِفْتُ يَـا بَكْـرُ مِنْ طُـوْلِ مَـا
أُفَكِّـرُ فِي أَمْـرِ (أَنْ) أَنْ أُجَـنْ

قال القالي : قال أبو العباس : فبلغ ذلك المازني فقال : والله ما أحسب أنه سألني قط ، فكيف أتعبني ؟!(٨٤) ، ويبدو أن تلك الشكوى منذ أن انطلقت في تلك القرون لم تجد استجابة من النحاة ليتخلصوا من بعض القواعد العويصة التي تنفر طلاب العربية من تعلم النحو والإقبال عليه ، حتى إذا بلغتنا تلقفناها نرددها دونما فهم لحقيقتها ، ولم نتعب الذهن ولا البدن لمعرفة ما إذا كانت الصعوبة حقيقية أو غير حقيقية ، ولم نبذل من الجهود ما يستحق الذكر في تعلم هذا العلم الجليل الذي يرقى بعضهم بتعلمه إلى أن يجعلـه واجبًا . وقفت جهودنا عند حدّ التذمر والشكوى من صعوبة

النحو والصرف وواقعنا يؤكد أننا لم نبذل في تعلمهما ما يتناسب مع فضلهما ، فهل آن الآوان لنبذ الشكوى إلا بعد اكتناه أغوار هذا الفن ، والرجوع إلى منابعه الأصلية في كتب التراث ، وعدم التعويل على الحواشي والمذكرات والمختصرات ؟!

ختاما أسأل الله أن يرزقنا الصبر ، لتفهم الكتاب العزيز وصلَّى الله وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

✡✡✡

الهوامش

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١/١٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية / ١٩٥

(٣) قال تعالى : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة هود ، الآية/١٣ .

(٤) قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة البقرة ، الآية/٢٣ . وقال جل ذكره : « أم يقولون افتراه قل ، فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة يونس ، الآية/٣٨ .

(٥) بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام ، فقاتلهم ابوبكر الصديق رضي الله عنه وكانت أقسى المعارك ضراوة على المسلمين تلك التي خاضوها مع المرتدين في اليمامة سنة أثنتي عشرة للهجرة ، انظر معجم البلدان ، (جـ ٥ ، ص ٤٤٢ يمامة) .

(٦) انظر الفهرست : ٣٤ .

(٧) قال تعالى : « إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » سورة الحجر/٩ . قال سبحانه : « قرآن مجيد ، في لوح محفوظ » سورة البروج /٣٢ .

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد / ١١ (م) .

(٩) انظر المصدر السابق / ١١ ، والفهرست / ٢٤ ـ ٢٥ .

(١٠) ارشاد الأريب ١/٨٣ ـ ٨٤

(١١) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٦ ، العقد الفريد ٢/٤٧٨ .

(١٢) قيل إن الذي بعث بالكتاب إليه هو أبوموسى الأشعري ، انظر أدب الكتاب /١٢٩

(١٣) البيان والتبيين ٢/٢١٦ ، العقد الفريد ٢/٤٧٨ .

(١٤) عيون الأخبار ٢/١٧٣ .

(١٥) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٩ .

(١٦) انظر الأضداد / ٢٤٥ .

(١٧) انظر : إرشاد الأريب ١/٨٩ ، والأضداد ٢٤٤

(١٨) المحكم في نقط المصاحف / ٣ ، إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٩ ـ ٤٠ ، روى الجاحظ انه كانت في عبيد الله لُكنة ، لانه كان نشأ بالأساوة (وهم قوم من عجم البصرة) مع أمه مرجانة . انظر البيان والتبيين ٢/٢١٠ .

(١٩) انظر العقد الفريد ٢ / ٣٠٩ وكان الوليد بن عبدالملك لحانا
(٢٠) انظر : ارشاد الأريب ١ /٨٥ .
(٢١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١ /٤٨ .
(٢٢) العقد الفريد ٢ /٣٠٨ .
(٢٣) معجم الأدباء ١ /٨٣ .
(٢٤) انظر . المصدر نفسه ١ /٨٥ . وانظر : عيون الأخبار ٢ /١٧٥
(٢٥) أدب الكاتب / ١٣٢ .
(٢٦) انظر المصدر السابق / ١٣٢ .
(٢٧) انظر : المصدر نفسه / ١٢٩ . إيضاح الوقف والابتداء ١ /٣٣ .
(٢٨) سورة البقرة . الآية ٢٢١ .
(٢٩) عيون الأخبار ٢ /١٧٥ .
(٣٠) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١ /٣٨ ـ ٣٩ . وفي رواية أن الأعرابي لما سمع اللحن في القراءة قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد . فبلغ الأمر عمر . رضي الله عنه . ولم ينكر الأعرابي مقولته المبنية على ما سمع من لحن القاريء . فقال عمر : صدق الأعرابي . إنما هي « ورسُولُه » . انظر إيضاح الوقف والابتداء ١ /٣٧ ـ ٣٩ . وانظر تفسير القرطبي ١ /٢٤
(٣١) انظر أخبار النحويين والبصريين / ١٨ .
(٣٢) انظر المصدر نفسه / ٢٣ .
(٣٣) إيضاح الوقف والابتداء ١ /٣٥ .
(٣٤) المصدر نفسه ١ /١٦ . تفسير القرطبي ١ /٢٣ وفيه (جوّدوا القرآن ...) وأظن الرواية الأولى أصح . لأن المعنى يفضي إلى تجريد القرآن مما كان بعض الصحابة يثبت في مصحفه من تفسير لغريبه . أو نحو ذلك .
(٣٥) تفسير القرطبي ١ /٢٣
(٣٦) انظر المصدر السابق ١ /٢٣ . إيضاح الوقف والابتداء ١ /١٦ . ميزان الاعتدال ٤ /٥٤١
(٣٧) سورة الدخان الآية / ٤٣ .
(٣٨) مقدمتان في علوم القرآن / ٢٣٩ ـ ٢٣٠ . وانظر حديثا آخر في إيضاح الوقف والابتداء ١ /١٦ .
(٣٩) انظر سيرة النبي ﷺ . ١ /١٧٢ ـ ١٧٨ . حياة محمد / ٧١ .
(٤٠) سير النبي ﷺ . ١ /١٧٨ .
(٤١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١ /٤٥ ـ ٤٦
(٤٢) انظر المصدر السابق ١ /٤٧ .
(٤٣) انظر البيان والتبيين ٢ /٢١٩ .
(٤٤) الآراء في هذه القضية ثلاثة :

الأول : يرى أن علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، هو اول من صنع شيئًا .
الثاني : يرى ان ابا الأسود هو صاحب الحظوة الأولى دون غيره .
الثالث . يتردد بين ابي الأسود ونصر بن عاصم وعبدالرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر
انظر مراتب النحويين / ٣٢ . الفهرست / ٣٩ ، أخبار النحويين البصريين / ١٣ ، ١٥ إنباه الرواة ١/ ٤ ـ ٥ ، نزهة الألباء / ٤ .
(٤٥) انظر : ايضاح الوقف والابتداء ١/ ٣٩ .
(٤٦) انظر نزهة الألباء / ٤ .
(٤٧) انظر اخبار النحويين البصريين / ١٦ .
(٤٨) المصدر السابق / ١٧ .
(٤٩) سورة النساء الآية / ٩٤ .
(٥٠) سورة الحجر . الآية / ٨ . وهناك حروف كثيرة وقعت في القرآن الكريم تحتمل هجائين وقراءتين منها ، هنالك تَبْلُو (تَتْلُو) كل نفس ما اسلفت ، يونس / ٣٠ .
وقوله تعالى . ، تقاسموا بالله لَنُبَيِّتَنَّه (لَنُبَيِّنَنَّه) ، النمل / ٤٩ ، وقوله تعالى ، ولا تَجَسَّسُوا (تَحَسَّسُوا) الحجرات / ١٢ ، وقوله تعالى ، والعنهم لعنا كَبِيْرًا (كَثِيْرًا) ، الأحزاب / ٦٨ ، وقوله تعالى : ، فمن خاف من موص جَنَفًا (حَيْفًا) ، البقرة / ١٨٢ ، وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .
(٥١) انظر السبعة / ٤٦ ، ٤٧ .
(٥٢) المصدر السابق / ٤٨ . وانظر ما روي عن الحجاج بن يوسف من كتابة بعض الحروف في مصحف عثمان كتاب المصاحف / ٤٩ ـ ٥٠ .
(٥٣) الأضداد / ٢٥٦ .
(٥٤) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ٢٠ . وهناك امثلة مشابهة لهذا كثيرة .
(٥٥) مقدمة ابن عطية / ٢٦١ .
(٥٦) سورة نوح . الآية / ٢٣ يريد (ونَسْراً)
(٥٧) سورة يوسف ، الآية / ٧٠ يريد (جعل السقاية في رَحْل اخيه)
(٥٨) سورة المائدة ، الآية / ٤ يريد (من الجوارح)
(٥٩) البقرة ، الآية / ٢ يريد (لارَيْبَ)
(٦٠) انظر تصحيح التصحيف / ١٦ .
(٦١) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ١٣ .
(٦٢) انظر المحكم في نقط المصاحف / ٢ ـ ٣ .
(٦٣) انظر المحكم في نقط المصاحف ١٠ . وغيرهم كثير . انظر المصاحف / ١٤١ .
(٦٤) انظر الإتقان ، ٢/ ١٦٧ .
(٦٥) انظر المصاحف / ١٤٢ ـ ١٤٣ . المحكم في نقط المصاحف / ١١ .

(٦٦) المحكم في نقط المصاحف / ١٣ .
(٦٧) المصدر السابق / ١٣ .
(٦٨) أخبار النحويين البصريين / ٣٨
(٦٩) انظر المحكم في نقط المصاحف / ٧
(٧٠) انظر المصدر السابق / ٧ . سر صناعة الإعراب ١ /١٧ .
(٧١) انظر سر صناعة الإعراب ١ /١٧ . وانظر نتائج الفكر / ٨٤
(٧٢) انظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية / ٩٠ .
(٧٣) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام / ٥٧ . وانظر أيضا مقدمة ابن خلدون / ٥٤٥
(٧٤) انظر عيون الأخبار . ٢ /١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٧٥) المصدر السابق ٢ /١٧٥ . إرشاد الأريب ١ /٨٥
(٧٦) انظر العقد الفريد ٢ /٤٧٨ . البيان والتبيين ٢ /٢١٩ .
(٧٧) انظر الورقة / ٢٥ . تاريخ بغداد ١١ /٤١٢ .
(٧٨) إرشاد الأريب ١ /٧٨ .
(٧٩) المصدر السابق ١ /٧٨ أ .
(٨٠) المصدر نفسه ١ /١٥ .
(٨١) انظر طبقات النحويين واللغويين / ١٢٧ .
(٨٢) الكوكب الدري / ٥٩
(٨٣) بكر بن بقية هو أبو عثمان المازني أستاذه
(٨٤) أمالي القالي ٣/١٨٦ . وانظر عيون الأخبار ٢/١٧١ ـ ١٧٢ . إنباه الرواة ٢/٥ ـ ٦ .

المراجـــع

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :
ـ الشيخ أحمد بن عبدالغني الشهير بالبناء ، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيـروت ، لبنان ، بلا تأريخ .
(٢) أخبار النحويين البصريين :
ـ أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتس كرنكو ، نشر معهد المباحث الشرقية بالجزائر (خزانة الكتب العربية ١٩٣٦م) .
(٣) أدب الكتاب :
ـ تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . تحقيق محمد بهجة الأثري ، وراجعه محمد شكري الآلـوسي ، المطبعة السلفيـة بمصر ، ١٣٤١ .
(٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) :
ـ ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان بلا تأريخ .
(٥) الأضداد :
ـ تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابـراهيم ، المكتبة العصريـة ، صيـدا ، بيـروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
(٦) أمالي القالي :
ـ أبو علي إسماعيل بن القاسم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تأريخ .

(٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة :
- علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
(٨) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل :
- تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق محيى الدين عبدالرحمن رمضان ، دمشق ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .
(٩) البيان في غريب إعراب القرآن :
- أبو البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور طه عبدالحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
(١٠) البيان والتبيين :
- الجاحظ - عمرو بن بحر ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، الطبعة الرابعة مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
(١١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
- للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
(١٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام :
- دي بور ، ت ، ج . نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة ، الطبعة الرابعة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
(١٣) الجامع لأحكام القرآن :
- لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٧م .
(١٤) حجة القراءات :
- للإمام الجليل أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
(١٥) الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية :
- تأليف : كريمر ، فون . تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي .

(١٦) ذيل الأمالي والنوادر :
ـ أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، لبنان (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية . ١٩٢٦م) .
(١٧) الرسالة :
ـ للإمام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
(١٨) السبعة في القراءات :
ـ لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية (منقحة) ، دار المعارف بمصر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(١٩) سر صناعة الإعراب :
ـ أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
(٢٠) سيرة النبي ﷺ :
ـ لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، راجع أصولها ، محمد محيى الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .
(٢١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف .
ـ تاليف أبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري ، تحقيق عبدالعزيز أحمد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

(٢٢) طبقات النحويين واللغويين :
ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .
(٢٣) العقد الفريد :
ـ تاليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(٢٤) عيون الأخبار :
ـ تاليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وطبعه الدكتور يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
(٢٥) الفهرست :
ـ ابن النديم ، نشره جوستاف فلوجل ، ليبزج ، ١٨٧١م .
(٢٦) المحكم في نقط المصاحف :
ـ أبو عمر الداني ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دار الفكر ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
(٢٧) معجم البلدان :
ـ للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .
(٢٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
ـ تاليف عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي . حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة . ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
(٢٩) مقدمة ابن خلدون (المقدمة) :
ـ عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، الطبعة الثالثة . بولاق ، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٠م .
(٣٠) مقدمتان في علوم القران . (مقدمة كتاب المباني ـ ومقدمة ابن عطية) :
ـ نشرهما أرثر جفري ، مطبعة دار الصاوي بالقاهرة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
(٣١) نتائج الفكر في النحو :
ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البنّا ، منشورات دار الاعتصام ، دار النصر

للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
(٣٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :
ـ أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .
(٣٣) النشر في القراءات العشر :
ـ الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان بلا تأريخ .

☼☼☼

دار البلاد للطباعة والنشر
جـــدة